صوت الفقراء ، الذي تحاول هذه المجموعة رسم بدايات ملامحه ، هو صوت متفجر ، فالقصيدة هي بركان ، لا يكتفي بالرصف الوصفي ، بل يحاول الانفجار بشكل دائم ، ليغسل العالم .

انه رديف الفعل الثوري . لذلك تقف مجموعة عدوان على مشارف البشارة . تحمل التزامها الحقيقي وتبحث لصوتها عن مؤشرات اضافية ، تعطيه ملامح المستقبل .

حول المحاولة الروائية

— ١ —

تقدم الرواية العربية ، نموذجا لحالات البحث عن الذات ، التي يحاولها الادب العربي. فهي أكثر الفنون انكشافا على الواقع واغترابا عنه في آن : يأتي انكشافها من طموحها الدائم ، لتصوير الواقع ، عكسه بطريقة ما ، عبر استعادة علاقاته. انها تحاول التقاط الشخصية واستنطاقها، دفعها الى التحرك داخل شبكة العلاقات الاجتماعية . اما اغترابها ، فهو وليد معاناتها الشكلية . انها لا تزال رغم انجازات محفوظ والطيب الصالح وغيرهما ، مجرد محاولات للتجاوز. فتجربة محفوظ « الواقعية » لم تعد مقنعة ، بل هي نفسها تحاول الخروج من الاطر التي رسمتها لنفسها في « الثلاثية » . هذا الخروج هو في البداية محاولة وصول الى التجريب الذي لا يستطيع الاستقرار في خط واحد . لذلك فهي عندما تحاول عكس الواقع تغترب عنه . فالواقع ليس في العلاقات المكشوفة ، انه العلاقات التي تحدد مسار العلاقات المكشوفة . هذه العلاقات لا يمكن الوصول اليها ، عبر لغة عادية . اللغة العادية ، أي لغة الوصف هي شرك ايديولوجي ، انها وعاء جاهز يحمل ثوابت النظرة الايديولوجية الى الواقع.

انه غطاء العلاقات الحقيقية ، بحجبها ويشرط النظر اليها داخل سلم من القيم الاخلاقية والاجتماعية . وكذلك لا يمكن الوصول الى هذه العلاقات في بنية انسيابية ، تطورية . فالنظرة التطورية التي ترسم حركة الشخصيات بوصفها حركة **ارادات** فقط ، تكشف عن عقدة الرواية التي لا يمكن حلها الا داخل احتمالية المنتظر . والمنتظر في عرف التلقي هو الجاهز الذي لا يمكن اختراقه . النظرة التطورية التي جاءت وليدة لعصر السيطرة البرجوازية المطلقة ، تنهار اليوم ، مع انهيار هذه الطبقة ، وانحدارها وانحطاط قيمها ، التي اصبحت مجرد غطاء شفاف لممارسة القمع الاجتماعي . التطور المتناسق ، هو وليد ثبات اجتماعي نسبي . أو بتعبير أدق، هو وليد نظرة ثابتة الى هذا الواقع الاجتماعي ، وهو بهذا المعنى ، لا يمكن ان يكون واقعيا ، رغم وجود شخصياته المقنعة داخل الحقل الروائي .

هذان المأزقان : مأزق اللغة الوصفية ، ومأزق العلاقات التطورية ، هما التعبير الواضح ، عن مأزق الرواية في العالم . لكنهما في حقل الثقافة العربية ، يبدوان أكثر انكشافا . فالرواية لا تزال فنا ، جديدا وسريع العطب . انها لم تؤسس بعد قناعات ثابتة جديدة ، تعقلنت واصبحت مقياسا يجب كسره . من هنا هذا السياق المتدرج لخط التطور الروائي العربي . تتناوب جميع عناصر الرواية الغربية ، في احتلاله ، دون تغليب مقدمات هذه العناصر . أي يكتفي فقط بالانجاز الجاهز ، ليجري تطبيقه تجريبيا ، فيقع الكاتب الروائي ، ضحية نتائجه التي لا يستطيع صياغتها ، لانه لم يكشف من داخل كتابته اطارات خاصة تسمح له بالتعبير عن خصوصية التفتت الاجتماعي العربي ،

---

١ — غادة السمان : **بيروت ٧٥** . دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٥ .

٢ — عبد الرحمن منيف : **شرق المتوسط** . دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٧٥ .

٣ — توفيق فياض : **المجموعة ٧٨** . دار القدس، بيروت ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الطبعة الاولى ، تشرين الاول ١٩٧٤ .